الوسطية في المنظور القرآني

الدكتور
محمد صالح عطية الحمداني

أستاذ التفسير المساعد
في كلية العلوم الإسلامية
جامعة بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد: فالقرآن الكريم ينبوع دائم العطاء، ومنهل عذب طالما اطفأ ضمأ العطشى، توجهت اليه صادياً لعلي أرتوي من وسطية علت سمعا وغابت تطبيقاً، فوددت أزالة اللثام عنها، ودراستها دراسة قرآنية لعلها تنبه غافلاً، وتعيد مغاليا، وتبين حقا، وقد تتبعت الايات التي تدعو الى الوسطية فقسمتها على مجالاتها موضحا تارة ومحللا أخرى مستهدفا أظهار الحقيقة بعيدا عن الاهواء واضعا فقه العصر طريقا للمعرفة، وهذا المنهج جعلني أبين مفهوم الوسطية وسماتها ومجالاتها التي شملت العقائد والعبادات والاخلاق والتشريع والمعاملات والمادية والروحية والمصلحة الفردية والجماعية، وختمت البحث بأهم النتائج التي توصلت اليها، أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع به المسلمين، أنه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير...

الباحث

المبحث الأول

مفهوم الوسطية وسماتها

المطلب الأول: الوسطية في اللغة وفي الاصطلاح

١. الوسطية في اللغة: تدل مادة (وسط) على معان متعددة، فالواو والسين والطاء بناء صحيح يدل على: العدل، والنصف، وأعدل الشيء أوسطه ووسطه[١].

والكلمة تضبط على وجهين:

الاول: (وسط)، بسكون السين، فتكون في هذه الحالة ظرفا بمعنى (بين)، فتقول: جلست وسط القوم، أي بينهم[٢].

الثاني: (وسط) بفتح السين، وتأتي لمعان متعددة فتكون:

أ. اسماً: لما بين طرفي الشيء، فتقول جلست وسط الدار وهذا حقيقة معناه[٣].

ب. صفة بمعنى (خيار، وافضل، وأجود) فأوسط الشيء أفضله كوسط المرعى خير من طرفيه، ومرعى وسط أي خيار[٤]. وواسطة القلادة: الجوهر الذي وسطها وهو أجودها[٥].

---

(١) معجم مقاييس اللغة – لأبن فارس : ٦/ ١٠٨.

(٢) ينظر المصدر نفسه : ٧/ ٤٢٧– ٤٢٨.

(٣) ينظر المصدر نفسه: ٧/٤٢٧– ٤٣٠.

(٤) ينظر الصحاح للجوهري: ٣/ ١١٦٧.

(٥) ينظر الصحاح للجوهري: ٣/ ١١٦٧.

جـ.عدل لأن وسط الشيء وأوسطه أعدله[1].

د.الشيء بين الجيد والردىء[2].

وعليه فأرى أن الكلمة لا تخرج من معناها عن:

العدل، والفضل، والخيرية، والنصف والبينية والتوسط بين طرفين.

٢.الوسطية في الاصطلاح: التوازن والتعادل بين الطرفين بحيث لا يطغى طرف على آخر. فلا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا تقصير، وإنما اتباع للأفضل، والاعدل، والاجود والاكمل[3].

والوسطية بهذا المفهوم تدور معانيها حول المعاني اللغوية آنفة الذكر فقد وردت في القرآن الكريم بمعنى:

أ.العدل والخيرية والتوسط قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[4]، أي عدلا[5] وفسرت أيضاً بالخيار والأجود[6] والتوسط بين الافراط والتفريط[7].

---

(١) ينظر لسان العرب – لابن منظور ٧/ ٤٣٠.

(٢) ينظر الصحاح للجوهري ٣ ١١٦٧ والقاموس المحيد للفيروز آبادي: ٢/ ٤٠٦ ولسان العرب لابن منظور: ٧ ٤٣٠.

(٣) وسطية الاسلام –د. أحمد عمر هاشم: ٧.

(٤) سورة البقرة – من الاية: ١٤٣.

(٥) الجامع لأحكام القرآن – للقرطبي: ٢ ١٥٣.

(٦) تفسير القرآن العظيم – لابن كثير: ١/ ٢٧٥.

(٧) جامع البيان عن تأويل أي القرآن – للبطري: ٣ ١٤٣.

ب.الشيء بين الجيد والرديء: قال تعالى في بيان كفارة اليمين ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾[1] فالمراد بالاوسط هنا: الشيء بين الجيد والرديء، فالرجل كان يقوت أهله قوتا أدنى وبعضهم قوتا ارفع فجاء هذا التوجيه الرباني والذي وضح معالمه ابن عباس رضي الله عنهما بأنه الخبز والزيت[2].

جـ.الوسطية الحسية. ويمثلها قوله سبحانه ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾[3] واطلق عليها الصلاة الوسطى لوجود صلاتين قبلها وصلاتين بعدها على رأي بعض العلماء[4].

ومما تقدم يتضح لنا أن الوسطية تمثل مركز الوحدة فقد تتعدد الاطراف تعددا قد لا يتناهى، لكن يبقى الوسط واحدا. فمركز الدائرة تلتقي عنده جميع الخطوط الاتية من المحيط وهذا في الجانب المادي. أما الجانب الفكري فأن الفكرة الوسطى يمكن أن تلتقي بها الافكار المتطرفة لأنها تمثل الاعتدال والتوازن كما أن الوسطية دليل القوة فالشباب يمثل مرحلة القوة وهو وسط بين ضعف الطفولة ووهن الشيخوخة، والوسطية تعني العدل وهو ضرورة حياتية بلا جنوح الى الغلو ولا ميل الى التقصير، وتعني كذلك استقامة المنهج والبعد عن الميل والانحراف، فهي دليل الخيرية ومظهر الفضل في الماديات والمعنويات، وأمان من الخطر بخلاف

---

(١) سورة المائدة – من الاية: ٨٩.

(٢) ينظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٠ ٥٤٣.

(٣) سورة البقرة – من الاية: ٢٣٨.

(٤) ينظر تفسير القرآن العظيم – لابن كثير: ١/ ٢٩١-٢٩٥.

الاطراف التي تتعرض له دائما فالوسط محروس ومحمي بما حوله[1] ولهذا كله فلا نريد بالوسطية أن يكون الانسان في درجة المتوسط في عبادته أو عمله أو سلوكه، ولا أن يكون متوسط العلم أو السعي أو الخلق[2] بل نريده أن يكون في أعلى درجات الكمال أو العدل والفضيلة والخيرية.

٣.الالفاظ المضادة للوسطية.

لأجل أن نتعرف على الوسطية بوضوح لابد لنا أن نبين بعض الالفاظ التي يعبر بها عن المعاني المضادة للوسطية ومنها:

أ.الغلو: هو مجاوزة الحد تقول: غلا السعر، يغلو غلاء، وذلك ارتفاعه. وغلا الرجل في الامر غلواً، إذا جاوز حده، وغلا بسهمه غلواً، إذا رمى به سهما اقصى غايته[3].

وقال ابن منظور: غلا في الدين والامر يغو غلوا، جاوز حده[4].

والغلو في الشرع يطابق المعنى اللغوي للكلمة، فهو لا يخرج عن مجاوزة الحد.

وورد الغلو في موضوعين من القرآن الكريم هما: قوله سبحانه: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾[5].

---

(١) ينظر الخصائص العامة للاسلام – د. يوسف القرضاوي: ١٣٤.

(٢) وسطية الاسلام – د. أحمد عمر هاشم: ٧.

(٣) معجم مقاييس اللغة: ٤ ٣٨٧– ٣٨٨ وينظر الصحاح: ٦ ٢٤٤٨.

(٤) لسان العرب : ١٥/ ١٣٢.

(٥) سورة النساء – من الاية: ١٧١.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾[1].

ومعناها في الحالتين معا: عدم تجاوز الحد في اتباع الحق. والابتعاد عن المبالغة في اطراء من أمرتم باتباعه كما فعلتم في المسيح عليه السلام فجعلتموه إلها[2].

ب.الافراط: هو التقدم ومجاوزة الحد في الامر، ويدل على إزالة شيء عن مكانه، يقال: فرطت عنه ما كرهه، أي نحيته[3].

وفي الشرع لا يتجاوز معناه اللغوي قال سبحانه وتعالى: ﴿قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾[4] أي قال موسى وهارون: يا ربنا إننا نخاف إن دعوناهم الى الايمان أن يعجل فرعون العقوبة علينا، أو يجاوز الحد في الاساءة الينا[5].

جـ.التفريط: هو التقصير، والتضييع، بتقديم العجز في الامر حتى فات[6].

وفي الشرع لا يتعدى معناه اللغوي يقول تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا

---

(١) سورة المائدة – من الاية: ٧٧.

(٢) ينظر تفسير القرآن العظيم – لابن كثير: ٢/ ١٥١.

(٣) معجم مقاييس اللغة– لابن فارس: ٤/ ٤٩٠.

(٤) سورة طه –الاية: ٤٥.

(٥) ينظر صفوة التفاسير – محمد علي الصابوني: ٢/٢١٧.

(٦) ينظر معجم مقاييس اللغة – لابن فارس: ٤/ ٤٩٠ والصحاح – للجوهري: ٣/ ١٨٤ ولسان العرب – لابن منظور: ٧/ ٣٧٠.

عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾[1] أي يا ندامتنا على ما قصرنا وضيعنا في الدنيا من صالح الاعمال[2]. ومع خسارتهم فهم كالدواب المحملة بالاوزار ذاهبين بها الى جهنم مجللين بالاثم[3].

٤ .الغلو والتفريط أسبابه وآثاره.

يقع الغلو في الدين بسبب المبالغة في أداء الواجبات دون بصية بهدف نيل اعلى الدرجات، ويرافق هذا التصرف أضطراب في الرؤية وفساد في تصور الحقيقة[4]، فمن ترك كسب الرزق من الطرق المشروعة ليتفرغ للعبادة مع حاجته واسرته الى ذلك فق زاد في سلوكه الديني عن حدود العبادة المطلوبة زيادة طغت على ما يجب عليه من كسب وترك الواجب ليغلو في أعمال العبادة، والتصرف الاقوم هو توزيع الجهد على الأعمال حسب مقتضياتها فللعبادة أوقاتها المحددة[5]. وقد يكون الغلو بسبب سوء فهم لحقيقة الدين أما من اجتهاد المغالي نفسه أو من اجتهادات من يتبعه ومن هذا القبيل إدخال الاراء الشخصية في قضايا الدين فعلى سبيل المثال لا الحصر كمن يصدر أحكاما متشددة توجب أو تحرم في الدين ما لا تجد له دليلا معتمدا على حديث لا يصح الاعتماد عليه، أو أخذا بظواهر النصوص أو سوء فهم لها أو اعتماد رأي مخالف لرأي الاخرين وأكثر ما يقع مثل

---

(١) سورة الانعام – الاية: ٣١.

(٢) ينظر صفوة التفاسير – محمد علي الصابوني: ١/ ٣٥٧-٣٥٨.

(٣) ينظر في ظلال القرآن – سيد قطب: ٣/ ١٨٥.

(٤) ينظر الوسطية في الاسلام – للدكتور محمد عبد اللطيف: ٤٨-٤٩.

(٥) ينظر الوسطية في الاسلام للدكتور محمد عبد اللطيف: ٤٨-٤٩ والوسطية في الاسلام – للشيخ عبد الرحمن حبنكة: ٨٨.

هذا في الشكليات، كاللباس وما يحلق وما لا يجوز حلقه وغيرها ولا يركزون على أمور أعظم منها خطرا كالغيبة والنميمة والقذف والحسد والرياء وأكل أموال الناس وغيرها[1]. وقد يكون الغلو بسبب رغبة في تسنم مركز اجتماعي وهذا الامر طالما ترافقه رغبات دنيوية، وبعض الغلاة منافقون، مندسون لأفساد مفاهيم الدين وتحريفها، وكل هذا يصحبه جهل وتعصب وهوى متبع[2].

أما التفريط فيكون أما بتقليص حدود الله أو بمجافاتها وعدم القيام بها، وهذا ينتج عن ضعف في الانتماء الى الدين أو انعدامه، وحب الدنيا وترك الاخرة وهذا يجعل مثل هؤلاء يتبعون الهوى وربما يصل بهم الامر الى درجة الكفر ولا سيما عندما لا يمتلكون رادعا يردعهم في التماس الحلال أو الحرام. وهذا أن دل على شيء فإنما يدل على تفلت من أحكام الدين وعدم الاخذ بها[3]. وقد حذر سبحانه وتعالى من التفريط في أحكامه بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾[4]، أي حذرهم من التهاون بشعائر الدين والزمهم التمسك بها، ودعاهم الى عدم التترس خلف الاشهر الحرم لكي ينالوا من المسلمين، فهي أذن منطقة أمان يقيمها سبحانه مكانا في بيته الحرام، وزمانا يأمن به الناس والحيوان

---

(١) ينظر التطرف الديني – د. قحطان الدوري: ٤٧.

(٢) ينظر لوسيطة في الاسلام – للشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة: ٧٥.

(٣) ينظر المصدر نفسه: ٧٣ والوسيطة في الاسلام – د. محمد عبد اللطيف: ٤٨.

(٤) سورة المائدة – من الاية: ٢.

والطير والشجر أن ينالها الاذى أو أن يروعها اعتداء، فهو سلام يتـــذوق القلـــب البشري حلاوته وطمأنينته وأمنه[1].

وعليه فالتفريط الحاصل بترك بعض الواجبات وارتكاب بعض المحرمـــات اخل بالتقوى، وأن حصل في عدن مراعاة المندوبات وترك المكروهـــات أخـــل في مرتبة البر، وأن حصل في عدم فعل الافضل يفوت على صاحبه درجة الاحسان[2].

ومما تقدم يتضح أن للغلو والتفريط آثارا وخيمة على الافراد والمجتمعات لما فيها من زيادة ونقص في الدين الذي جاء ليرسي قواعد علاقات الافراد والجماعات على أسس سليمة ارتضاها الخالق العظيم، ولهذا فان أي خلل فيها يؤثر على الجميع بما لا تحمد عقباه، فالغلو والتفريط يهدم ويشوه المبادئ السديدة الـــتي جـــاء بهـــا القرآن الكريم وبينتها السنة المطهرة، ولعلاج هذا الخطر نرى أن زيادة المؤسســـات الدينية التي تعني بتدريس الشريعة واشاعة مفاهيم الدين بوجه سليم كما أن تربيـــة الابناء على الاسس القويمة بعيدا عن الافكار الغالية ونصحـــهم واجابتـــهم علـــى الاسئلة بما يدعو الى التمسك بالدين والابتعاد عن العنف، الابتعاد عن التكفير لأنـــه خطر وبيل وفيه قطع لحكم قبل حكم الله وهذا لا يجوز شرعا، والدعوة الى نصـــح الناس بأخذ العلم من أهله الورعين، والتوجه الى أهل الذكر بالسؤال[3]، كما قـــال سبحانه ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[4]، فالله سبحانه أمـــر مـــن لا يعلم بالرجوع الى أهل العلم لأجل المعرفة، وهذا فيه تعديل وتزكية لذوي العلـــم

---

(١) ينظر في ظلال القرآن – سيد قطب: ٢/ ٦٤٤– ٦٤٥.

(٢) ينظر الوسطية في الاسلام – د. محمد عبد اللطيف: ١٢٧.

(٣) ينظر التطرف الديني – د. قحطان الدوري: ٤٨–٥٠.

(٤) سورة النحل – من الآية: ٤٣.

بدليل الامر بسؤالهم مع خروج الجاهل من التبعة، وهذا ما يدفع أصحاب العلم الى تزكية أنفسهم والمحافظة على ما ائتمنوا عليه وبذله لأهله[1].

المطلب الثاني: وسطية الأمة الإسلامية

خص الله سبحانه وتعالى أمتنا بخصائص نهضت بها لتكون القائدة الرائدة، فاجتباها بناء على خصائصها المميزة فقال جل وعلا: ﴿أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[2]، بل جعلها خير أمة بقوله عز وجل: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[3]. والخيرية التي وصفت بها الامة خيرية كمال دينها ولذلك استحقت هذه المكانة بأنها أمة الوسيطة في كل مجال من مجالات الحياة فقال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[4] وإذا كانت الشهادة لا تصح إلا ممن يتصف بالعقل والعلم ومكارم الاخلاق فكيف الامر بمن يكون شهيدا على الناس كلهم ولذلك جعلنا الله ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان سامية (خيار أو عدولا مزكين بالعلم والعمل)[5] وتوازنا ومنهجا وشريعة وتاريخا ومكانا وزمانا، ومن هذا المنطلق فان الامة هي التي تبدي رأيها وتضع الموازين والقيم لأنها الشهيدة على الناس، لأن الشهادة في الواقع مسؤولية إنسانية، تجب على الانسان أن ينهض بها تلقائياً بوازع

---

(١) ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – عبد الرحمن ابن ناصر السعدي: ٤٤١.

(٢) سورة الانعام – من الآية : ١٢٤.

(٣) سورة آل عمران – من الاية: ١١٠.

(٤) سورة البقرة – من الآية : ١٤٣.

(٥) أنوار التنزيل واسرار التأويل – للبيضاوي: ١/ ٨٦.

من ضميره الحي، وعندما كانت الشهادة مسؤولية وجدانية فهي تكليف وتشريف لهذه الامة التي سيشهد عليها ويقيم أعمالها رسول الله ﷺ ويقول فيها كلمته.

وعليه فما على الامة إلا أن تعرف قدر نفسها وتقدر دورها وتستعد له استعداد كما أرادها الله. وهذه الشهادات المتسلسلة مهمتها احقاق الحق حيث تبدأ من الضمير وتمر بالمجتمع لا بل تمتد شهادة الامة الوسط على الانبياء والمرسلين[1]، كما قال رسول الله ﷺ : يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب فيقول هل بلغت فيقول: نعم فيقال: لامته هل بلغكم فيقولون ما أتانا من نذير فيقول من يشهد لك فيقول محمد وأمته فيشهدون أنه قد بلغ ويكون الرسول عليكم شهيدا فذاك قوله جل ذكره ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾(البقرة: من الآية١٤٣) والوسط العدل[2] وانطلاقا من هذا الفهم فان الوسطية الاسلامية كما فهمها معظم مفكري الاسلام تنبه الى معاني العدل والاستقامة والتوزان والتوسط حيث ظهر ذلك في كتاباتهم التي تتحدث عن مواقف الاسلام بين الدين والدنيا بين العقل والنقل بين الجبر والاختيار مع تأصيل لوسطيته تلك بالاستدلال عليها من القرآن الكريم[3] والذي تمثله هذه الآيات الكريمة:

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[4].

---

(١) ينظر الوسطية في الاسلام – للدكتور محمد عبد اللطيف: ١٣٤ و ١١٤– ١٤٥.

(٢) صحيح البخاري بشرح فتح الباري – للعيني: ١٨ ٩٥.

(٣) ينظر الوسطية العربية مذهب وتطبيق – د. عبد الحميد ابراهيم: ١٤٦–١٥٢.

(٤) سورة البقرة – من الآية: ١٤٣.

وقوله سبحانه: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً* فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً﴾[1].

وقوله عز وجل: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾[2].

وقوله جل جلاله: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾[3].

وقوله جل وعلا: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾[4]

والذي ينظر بتدبر ويديم التفكير في الايات تتجسد أمامه أصالة هذه الوسطية وروحها السامية في الموازنة والمقارنة ليظهر العدل والفضل، وهذه الوسطية ليست وسطية تلفيق لأنه انحراف ينبغي الحذر منه. لأن الوصول الى الحق هدف الوسطية الاول. كما أنها ليست وسطية عقلية تعتمده وحده بل تعتمد الاصول النقلية وفق المعايير البرهانية العقلية[5].

وتختلف وسطية القرآن بمفهومها عن المفهوم الفلسفي الذي يقوم على جدلية منطقية فهو يولد حدا جديدا من حدين سابقين فوسطية أرسطو على سبيل المثال لا الحصر تختلف اختلافا جوهريا عن الوسطية بمفهومها الاسلامي ذلك أن الوسطية عنده تعني تداخل الشيئين لكي يتكون منهما في النهاية شيء آخر ثالث

---

(١) سورة العاديات – الايتان: ٤–٥.

(٢) سورة القلم – الاية: ٢٨.

(٣) سورة المائدة – من الاية: ٨٩.

(٤) سورة البقرة – الاية: ٢٣٨.

(٥) الوسطية التشريعية الاسلامية –د. جمال الدين محمد محمود: ٥٥.

يلغيهما ويقف بدلا منهما[1]، هذه الوسطية لا تنظر الى العوامل النفسية ولا الى القيم الروحية في الاخلاق العليا بل ينتهي بها المطاف الى أن تجعل للأخلاق مقاسا اشبه بمقاييس الهندسة والحساب، وهذا المقياس باعتقادي لا يصح إلا إذا كان مفروضا على الانسان أن يختار بين رذيلتين محققتين فيلجأ الى التوسط بينهما كما في الاسراف والبخل فانه يختار الكرم لأن هذه الاخلاق تتباين في الباعث والقيمة[2].

بينما نجد أن المفهوم الاسلامي يعيش فيه الشيئان متجاورين ويحتفظ كل منهما بوجوده، وهو ما يتفق مع فطرة الانسان الذي يعيش بين المتعارضات والمتناقضات، وينتقل من حال الى أخر بحسب أحوال النفس وظروف الزمان والمكان، وبهذا المفهوم ربط المفكرون المسلمون مفهوم الوسطية بمفهوم الخيرية وكلا المفهومين يعبر عن خصيصة أمتنا ويرتبط ارتباطا وثيقا باللفظ العربي الدال عليه[3]. هذا وتظهر وسطية الامة في المكان، فمكة تعد وسط الكوكب الارضي، وهذا الموقع كان سببا من اسباب اختيارها مكانا للرسالة فهي قبلة المسلمين في مشارق الارض ومغاربها، وهي مهبط الوحي، فموقعها هذا لاءم أن تكون مكانا وسطا للدعوة ونشر نورها الى ارجاء المعمورة، لا بل حدد مسؤولية الامة ودورها في النهوض بالبشرية وحملها مهمة القيادة وأمانة الدعوة وسلامة الرسالة وازاء هذه

---

(١) ينظر الوسطية العربية مذهب وتطبيق – د. عبد الحميد ابراهيم: المقدمة والوسطية التشريعية الاسلامية: ٥٨.

(٢) ينظر حقائق الاسلام واباطيل خصومه – عباس محمود العقاد: ٢٨٣.

(٣) ينظر الوسطية التشريعية الاسلامية – د. جمال الدين محمد محمود: ٥٨-٥٩.

المكانة والنعمة ما على الامة إلا أن تشكر المنعم وتعتصم بحبله وتطبق ما أمر به وتجتنب ما نهي عنه[1].

أما وسطية الامة زمانا فان الذي يستقري تاريخ الرسالات السماوية سيجد أن الرسالة الاسلامية لم تأت في بداية التاريخ البشري ولا في نهايته بل جاءت في الوسط، مع كونها خاتمة الرسالات لتكون شاهدة ومهيمنة تقر الحق وتبطل الباطل قال سبحانه (وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه)[2]، ووسطية زمان الرسالة اعطاها فرصة لتخلص الانسانية من الاوهام والاباطيل والخرافات وهذا ما جعل عصرها متميزا حيث وصلت بالبشرية الى مكانه سامية بفضل ما جاءت به من قيم واحكام ونظم حضارية[3].

وعليه فان وسطية الامة عادت عليها بالرفعة ووسمتها بالامانة التي مكنت حضارتها من الانتشار والازدهار، لا بل كانت محورية استقطبت المواهب والكفاءات ووظفتها بالنفع الانساني، وهذا ما جعلها في الصدارة رائدة للبشرية في الحياة الدنيا وفي الاخرة تمتد شهادتها للانبياء والمرسلين.

المطلب الثالث: سمات الوسطية

من خلال تتبعنا لمادة الموضوع حيث اتضح أن الوسطية تسعى الى الوصول الى الحقيقة المجردة، ديدنها الحق متجنبة الاهواء والامزجة، حيث اعطت للعقل

---

(١) ينظر وسطية الاسلام – د. احمد عمر: ١٢-١٣ والوسطية في الاسلام – د. محمد عبد اللطيف: ١٤٠.

(٢) سورة المائدة – من الاية: ٤٨.

(٣) ينظر وسطية الارسلام – د. احمد عمز: ١٥-١٦ والوسطية في الاسلام – د. محمد عبد اللطيف: ١٤٢.

السليم اعتباره وعدت الانحراف عنها خطلا في التفكير وخطأ في النظرة ولوثة في العقل، وسعت الى المواءمة والانسجام في المجالات جميعها شعارها لا افراط ولا تفريط، ملتزمة بأدب الخلاف سعيا للوحدة منتهجة الحوار البناء والمهادىء طريقا. لا تغفل الواقع بل تسعى لفهمه اعرافا وعادات. وتنطلق من أسس سليمة في الفهم المعزز بالدليل فلا تعالج افراطا بتفريط ولا غلوا بغلو وانطلاقا من هذه الاسس السليمة التي انتهجتها الوسطية فقد وسمت بسمات جعلت نظرتها بعيدة وحكمها سديدا وهدفها واضحا وفيما يأتي بيان ذلك:-

١. التوافق بين النص والواقع: إن نظرة فاحصة للنصوص القرآنية يظهر لنا بجلاء التوافق بين النص والواقع والسبب واضح جداً هو أن القرآن الكريم نزل ليغير واقع الانسان وما اصابه من انحرافات يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

فالاية الكريمة أشارت الى أربعة مقاصد للقرآن الكريم هي:-

أ. موعظة أي فيه مواعظ وحكم.

ب. وشفاء لما في الصدور من الشك والنفاق والخلاف والشقاق.

جـ. وهدي أي ورشدا لمن اتبعه.

د. رحمة للمؤمنين أي نعمة خصهم الله بها لأنهم المنتفعون بالايمان[2].

---

(١) سورة يونس – الاية: ٥٧.

(٢) ينظر الجامع لأحكام القرآن – للقرطبي: ٨/ ٣٥٣.

فأذا كانت الايات قطعية الثبوت وقطعية الدلالة فأنها تحكم على الواقع لأن حكمها يكون حكما قطعيا لأن الواقع هو المقصود بحكم النص، ولابد من توافقهما بداهة. ولأجل أن يبقى التوافق قائما وتأثيره في الحياة سائدا فأن بعض الايات تكون قطعية الثبوت لكنها ظنية الدلالة وهذا الامر يستدعي العمل به في الفروع التي تغطي حيزا عظيما في المعاملات وهذا أمر واقعي كذلك، لأن المجتهد في ذلك غايته التوفيق بين النص والواقع، ولو لم يكن هذا لتعطلت كثير من الأحكام، وقد أمر الرسول ﷺ ما حدث لعمرو بن العاص ﷺ حين خشي الاغتسال من الجنابة بالماء البارد فتيمم بناء على قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾[1]. إذ أن ظاهر الاية يحتمل صحة ما ذهب اليه الصحابي الجليل لمواجهة واقعة تحمل على الاخذ بهذا المعنى[2]، فالاسلام في تشريعه لم يغفل الكون ولا واقع الحياة ولا الطبيعة البشرية بكل ظروفها لكون الناس يختلفون في استعدادهم ولا سيما في التطبيق، وبناء على هذه النظرة الواقعية فقد وضع الاسلام حدا أدنى هو أقل ما يمكن قبوله من المسلم ويدخل ضمن هذا المستوى الفرائض والمحرمات. التي جعلت بقدر طاقة أقل الناس استعدادا لفعل الخير والابتعاد عن الشر، والى جانب هذا المستوى مستوى أعلى رغب الاسلام فيه دون الزام لأن الحرج مرفوع لكونه يخالف نظرة الاسلام الواقعية يقول سبحانه وتعالى ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[3] وهذا يشمل المندوبات والمكروهات والتي ترغب الايات القيام بالاولى وترك الثانية، ففرض

---

(١) سورة النساء – من الاية : ٢٩.

(٢) ينظر الجامع لأحكام القرآن – للقرطبي: ٥/ ١٥٧.

(٣) سورة الحج – من الاية: ٧٨.

الصلاة يدخل ضمن المستوى الادنى، أما مندوباتها فتدخل ضمن المستوى الاعلى[1].

ولم تقف واقعية الاسلام عند وضع مستويين للكمال أدنى واعلى، وإنما راعت الظروف الطارئة للانسان كالمرض والسفر وغيرها فأوجدت المخارج وشرعت الرخص تخفيفا على المكلف ولم تحمله فوق طاقته رعاية لواقعه وتقديرا لظروفه لا بل أباحت المحظور إذا الجأته الضرورة والقاعدة الفقهية (الضرورات تبيح المحظورات)[2] خير شاهد على واقعية الاسلام فالاكل من الميتة للمضطر وافطار المريض والمسافر وغيرها تدلل على التوافق بين النص والواقع.

٢. الموازنة بين الواقع والمثال: يسعى الاسلام للوصول بالانسان الى أعلى درجات الكمال، وهذا ما يطلق عليه بالمثالية، ولما كان استعداد الانسان مختلفا فقد راعى واقعه وهذا ما يسمى بالواقعية، وقد أقر القرآن الحالتين معا تمشيا مع تلك الطبيعة، وقد تحققت المثالية في سيدنا محمد ﷺ وقد أمرنا سبحانه بالتأسي به بقوله جل وعلا: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾[3] وهذه المثالية تتصف بالشمول أي أن الانسان لا يكون مثاليا إن بلغ في جوانب أعلى المستويات وأهمل بعضها الاخر دون المستوى المطلوب، وعندما فيهم

---

(١) ينظر اصول الدين – د. عبد الكريم زيدان: ٧٤ والخصائص العامة للاسلام – د. يوسف القرضاوي: ١٥٨ و ١٦٤.

(٢) الاشباه والنظائر على مذهب ابي حنيفة النعمان – الشيخ زين العابدين ابراهيم بن نجيم: ٨٥. الاشباه والنظائر للسيوطي: ٨٤.

(٣) سورة الاحزاب – من الاية: ٢١.

الصحابة المثالية بهذا العمق والشمول نجدهم لم يهملوا أي جانب من جوانب حياتهم إلا عملوا على بلوغ المستوى الاعلى، فتراهم يتسابقون الى المساجد ولم تفتقدهم حلقات العلم، ولم يتخلفوا عن الجهاد، ولم يتأخروا لمواسات غيرهم ولا مشاركتهم في افراحهم[1].

كما أن المثالية تتصف بالاعتدال بحيث لا إفراط ولا تفريط فقد جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج رسول الله ﷺ يسألون عن عبادته، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: اين نحن من رسول الله ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدا وقال الاخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الاخر: وأنا اعتزل النساء ولا أتزوج ابدا فجاء رسول الله ﷺ فقال أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله أني لأخشاكم لله واتقاكم له ولكني أنا أصلي وأنام وأفطر واتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني)[2] فالحديث أوضح لنا بجلاء أن تعذيب الجسد ليس من وسائل بلوغ الكمال في الاسلام، وأنما بلوغه يكون بالمنهج المعتدل، وما عدا ذلك يعد خروجا عن منهجية الاسلام للوصول الى المثالية بدليل أن الاسلام راعى واقع الانسان وطبيعته فقبل منه أدنى المستويات وفتح الباب لمن يسعى للوصول الى الكمال مع توفر الاستطاعة دون تأثير على النفس أو على الناس، وقد يأخذ بعضهم بخشونة العيش والرضا بالقليل لسبب مشروع وغاية نبيلة كان يؤثر غيره على نفسه أو يكون في مقام القدوة[3]. ولا يقدح بمثالية الاسلام التمتع بالطيبات أن وجدت يقول سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا

---

(١) ينظر اصول الدعوى – د. عبد الكريم زيدان: ٧٣-٧٤

(٢) سبيل السلام – الصنعاني: ٣/ ١١٠.

(٣) ينظر اصول الدعوة – د. عبد الكريم زيدان: ٧٢-٧٣.

طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[1]. لأنه هو الذي يحلل ويحرم وليس لأحد الحق في ذلك. ومن عدل عن هذا فقد تجاوز واعتدى على حق الله سبحانه وهذا ما يخرجه عن الايمان[2].

وعليه فان الموازنة بين الواقع والمثال في حياة الناس هدف قرآني لأنه لا يريد إرهاق نفس أو ايذاء جسم لأن ذلك يوهن القوي ويقعد عن العمل.

٣. الموازنة بين الثابت والمتغير من الاحكام: لا يخفى أن مواكبة الشرعية لتطور الحياة هو برهان على خلودها واستمرارها بمنهج أصيل يتضمن في أحكامه الثابت والمتغير، لكي يقابل الثابت من الحقائق الكونية بثابت من النظم الشرعية، وأن يقابل المتطور منها بمتطور من الأحكام الشرعية وهذا ما جاء به القرآن الكريم حيث تضمنت آياته نوعين من الأحكام:

أ. أحكام ثابتة لا تتبدل مهما تطورت الحياة وتمثل هذه النصوص القطعية التي لا تحتمل اجتهادا ولا تأويلا ومنها قوله سبحانه: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾[3]. فلفظا النصف والربع في الاية قطعيا الدلالة على معناهما ومثل هذه الاحكام تبقى فوق البحث لأن الله سبحانه وتعالى جاء بها على هذا الوصف لصالح الناس كي لا يختلفوا عند التنفيذ، وكذلك العبادات وشرائع الاسرة والميراث

---

(١) سورة المائدة – الاية: ٧٨.

(٢) ينظر في ظلال القرآن – سيد قطب: ٣/ ٢٤.

(٣) سورة النساء – من الاية: ١٢.

والاخلاق وأوامر الله سبحانه وتعالى ونواهيه، حيث لا دخل للانسان فيها لا بزيادة ولا نقصان لأنه (لا مساغ للاجتهاد في مورد النص)[1].

ب. أحكام لم يرد فيها نص، أو ورد فيها نص ولكنه غير صريح ففي هذه الحالة يخضع للاجتهاد البعيد عن الهوى ففي قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾[2]، فان لفظ القرء يحتمل أكثر من معنى لأنه يطلق على الطهر وعلى الحيض[3]، ومن هنا كانت المرونة المنضبطة التي تميزت بها وسطية القرآن الكريم لي تلائم الانسان في كل زمان ومكان ضمن إطارها الثابت، لأنها تقبل تطبيقات مختلفة وطرقا متعددة. ومثل هذه الأحكام ترتبط بما لا استقرارا له في شؤون الكون كالنظم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، لكي يعمل الانسان على تطوير الوسائل المادية التي تشبع غرائزه فقد اخترع الكهرباء فهو اليوم يرى في الليل مثلما يرى النهار، وسكن القصور وناطحات السحاب بدل الكهوف وكيف الهواء حسب حاجته باردا في الصيف ودافئا في الشتاء. وركب الطائرة ومراكب الفضاء وغيرها من السوائل بعد ما كان يمشي

---

(١) الوجيز في ايضاح قواعد الفقه الكلية – د. محمد صدقي: ٢٥٥. والمدخل الفقهي العام – لمصطفى الزراق: ٦٢٣ والوجيز في شرح القواعد الفقهية في الشريعة الاسلامية – د. عبد الكريم زيدان: ٣١.

(٢) سورة البقرة – من الاية: ٢٢٨.

(٣) ينظر التلويح على التوضيح للتفتازاني: ١/ ٥٣ وعلم اصول الفقه – لعبد الوهاب خلاف: ٣٤.

على اقدامه[1]. وعليه فان الوسطية راعت الموازنة بين الثابت والمتغير، وحاربت الخطر الذي يهدد المجتمع الاسلامي المتمثل بثبات ما صفته التطور فتصاب الحياة بالجمود، وأن يطور ما صفته الثبوت. لأن الدين ضابط الحياة والممسك بالبشرية من أن تضل، واخضاعه للتطور فيستقيم تارة ويعوج أخرى فانه يفقد وظيفته الاجتماعية في الحياة، ولا يجوز للمسلمين أن يتكيفوا مع متغيرات الحياة المخالفة لمنهج القرآن بل عليهم أن يعالجوا مستجداتهم وفق هدايته[2]. التي تجمع بين الثبات والمرونة (الثبات على الاهداف والغايات، والمرونة في الوسائل والاساليب، الثبات على الاصول والكليات، والمرونة في الفروع والجزئيات، الثبات على القيم الدينية والاخلاقية، والمرونة في الشؤون الدنيوية)[3].

٤. التوافق بين الغاية والوسيلة: من السمات التي تميزت بها وسطية القرآن أنها راعت أن تكون الغاية موافقة للوسيلة لأن الوصول الى غاية نبيلة بوسيلة خسيسة مرفوض اسلاميا، لأن الغاية لا تبرر الوسيلة في منهجه، ومن هذا المنطلق فان القرآن الكريم وضع للبشر اهدافا ودعاه الى الوصول اليها بوسائل متعددة، ومن جملة الاهداف العبادة بقوله سبحانه

---

(١) ينظر التطور روح الشريعة الاسلامية – محمود الشرقاوي: ١٠٦-١٠٧ والقيم الاسلامية للفكر الاسلامي – أنور الجندي: ٢٨ والتطور والدين – احمد زكي تاحة: ٣٩-٤٠.

(٢) ينظر الخصائص العامة للاسلام – د. يوسف القرضاوي: ٤٢ والاسلام وثقافة الانسان – لسميع عاطف الزين: ٣١٨

(٣) الاسلام والتطور – د. يوسف القرضاوي بحث منشور في مجلة الامة العدد /٢٨/ ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣): ١٦.

وتعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾[1] والعبادة تعني الطاعة المتضمنة كمال الحب وهذا لا يكون إلا عن معرفة ولهذا قال مجاهد ﴿إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي: ليعرفون[2] والعبادة بهذا المستوى تحرر الانسان من الخضوع لغيره سبحانه مهما كان نوعه، والهدف الثاني: هو الخلافة في الارض كما قال سبحانه ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[3]. وهذه الاية تبين قيمة الانسان ومنزلته بين المخلوقات لما يحمله من مؤهلات، والخلافة المرادة هنا هي تنفيذ أمر الله سبحانه وتعالى[4].

أما الهدف الثالث فهو عمارة الأرض: كما قل سبحانه ﴿هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[5]. أي طلب عمارتكم لها وهذا إشعار لنا لئلا نظن أن

---

(١) سورة الذاريات – من الاية : ٥٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٧/ ٥٥.

(٣) سورة البقة – الاية: ٣٠.

(٤) ينظر صفوة التفاسير – محمد علي الصابوني: ١/ ٤١ والاسلام حضارة الغد. د. يوسف القرضاوي: ١٧٢.

(٥) سورة هود – من الاية: ٦١.

الدين يهتم بعمارة الاخرة فقط ولو على حساب خراب الدنيا فالحقيقة أن الدنيا مزرعة الاخرة[1].

وعليه السلام لم يكتف بان ربط المسلم بأفضل الغايات ولكن وجهه الى اتخاذ الوسائل للوصول الى تلك الاهداف النبيلة السامية المتكاملة والمتلازمة وهذه الوسائل تميزت بالاحسن ففي قوله ﷻ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[2].

فإذا كانت هناك طريقتان للمجادلة كأن تكون حسنة وأحسن فالقرآن يوجه أن تجادل بالتي هي أحسن وعليه فاتخاذ الاحسن هو هدف الانسان المسلم في كل شيء ولذلك أثنى الله ﷻ على الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه قال سبحانه: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[3]. فجعلهم مهديين وأصحاب عقول[4]. وبهذا يظهر حرص القرآن الكريم واهتمام وسطيته على نظافة الوسيلة وصولا الى شرف الغاية.

٥. الموازنة بين العقل والنقل: لقد تميزت وسطية القرآن بكونها ربطت العقل بالنقل وأعطت العقل مكانا ساميا ومنزلة رفيعة، لا بل جعلته مناط التكليف ووصف سبحانه معطلية بأشنع وصف فقال: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ

---

(١) ينظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٩/ ٥٦.

(٢) سورة النحل – من الاية: ١٢٥.

(٣) سورة الزمر – من الاية: ١٧ والاية: ١٨٠.

(٤) ينظر الاسلام حضارة الغد – د. يوسف القرضاوي: ١٧٥. س

عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ﴾[1]. واكبر العقل ودعا للرجوع اليه لما له من مكانة قال ﷻ: ﴿فاتقوا الله يا أولي الألباب﴾[2]، وهذه الدعوة صريحة لإيقاظ العقل وإعمال الفكر. والعقل الذي يخاطبه القرآن هو العقل الذي ينجو بالضمير ويعصمه ويدرك كنه الحقائق والتمييز بين الامور ويتدبر ويحسن الإدكار، فإذا كان كذلك فان صحيح المعقول لا يخالف صريح المنقول، وهذه الموازنة تظهر بجلاء من أن القرآن الكريم ثبت بالنقل المتواتر الذي يفيد العلم القطعي بما يحمله من أحكام فلا ريب أن أحكامه تكون قطعية الثبوت كذلك، إلا أن دلالته على هذه الاحكام ليست بمستوى واحد فهي على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: أحكام قطعية الدلالة كقوله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾[3] فكلمة الثمانين لا تحتمل إلا معنى واحدا ولذلك فهي قطعية الثبوت والدلالة[4].

النوع الثاني: أحكام ظنية الدلالة، أي أنها تحمل أكثر من معنى وهذا يحتمل التأويل والاجتهاد ومنها قوله تعالى: ﴿أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾[5] فقد اختلف الفقهاء في حكم ملامسة النساء، وذلك لاشتراك اسم اللمس في كلام

---

(١) سورة الانفال – الآية: ٢٢.

(٢) سورة المائدة – من الاية: ١٠٠.

(٣) سورة النور – من الاية: ٤.

(٤) ينظر اصول السرخسي: ١/ ٢٧٧-٢٧٩ واصول الفقه الاسلامي – لبدران ٩٣ – ٩٤.

(٥) سورة النساء – من الاية: ٤٣.

العرب، فيطلق مرة ويراد به اللمس باليد وأخرى يكنى به عن الجماع، فذهب بعض الفقهاء ومنهم الشافعية الى أن مسّ المرأة يقتضي الوضوء سواء مسها بشهوة أم بغير شهوة ودليلهم ظاهر الاية. والاصل حمل الكلام على الحقيقة فلا يعدل عنها الى المجاز إلا عند التعذر، فيما ذهب الحنفية الى أن مس المرأة غير ناقض للوضوء سواء كان اللمس بشهوة أم بغير شهوة، ودليلهم ما روته عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ : "كان يقبّل بعض نسائه ثم يخرج الى الصلاة ولا يتوضأ"[1]. وعدوا الاية كناية عن الجماع بدليل قوله سبحانه ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾[2]، أي من قبل أن تدخلوا بهن[3].

النوع الثالث: أحكام تكون دلالتها قطعية من جهة وظنية من جهة أخرى ومثاله قوله سبحانه: ﴿وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ﴾[4] فالآية تدل دلالة قطعية على وجوب المسح بلا خلاف، وتدل دلالة ظنية على المقدار الواجب مسحه من الرأس. والذي تباينت اراء الفقهاء فيه فلكل منهم اجتهاده[5].

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد – للهيثمي: ١/ ٢٤٧.

(٢) سورة البقرة – من الاية: ٢٣٧.

(٣) ينظر الجامع لأحكام القرآن – للقرطبي: ٣/ ٢٠٥.

(٤) سورة المائدة – من الاية: ٦.

(٥) ينظر اصول الفقه – لبدران : ٦٢ واصول الفقه الاسلامي – لمحمد شلبي: ٩٤-٩٥.

معنى ذلك أن الدلالة الظنية لابد لها من عقل واع وفكر ثاقب للوصول الى الحق المراد، وما يحصل عليه بهذه القوة هو العلم والذي يعني (حضور صورة الشيء عند العقل)[1]، وهو على نوعين:

أ. علم ضروري: وهو الذي لا يحتاج لواسطة بل يحصل اضطرارا وبداهة دون تعلم. وهذه المعرفة تدعى المباديء الاولية والتي يقطع العقل الانساني بصحتها دونما برهان، كما لا يختلف فيها اثنان ممن ملك سلامة الجنان كتصديقنا بان الكل أكبر من الجزء، وأن الواحد نصف الاثنين.

ب. العلم النظري: وهو الذي يحتاج لواسطة في سبيل كسبه ومعرفته، فهو يحتاج الى النظر والفكر، ويطلق عليه العلم المكتسب كتصورنا لحقيقة الكهرباء[2].

وعليه فان قيمة العقل وإدراكه للأحكام معلومة ولكنها تتحرك ضمن حدود الشريعة والضوابط التي ترشده للحق وتجنبه الزلل والشطط. وهذا التوازن هو الوسطية الإسلامية التي ترفض أن تسلم القضية كلها الى طرف واحد هو العقل بلا اعتبار للنقل كما فعلت الفلسفة قديما والعلمانية حديثا[3].

---

(١) المنطق – محمد رضا المظفر : ١/ ١٤.

(٢) ينظر موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين – لمصطفى صبري: ٢/ ٨٤ والمنطق – محمد رضا المظفر ١ ٢١

(٣) ينظر الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي: ٧–٨ والاسلام عقيدة وشريعة – محمود شلتوت: ١٩.

المبحث الثاني

مجالات الوسطية في القرآن الكريم

المطلب الأول: وسطية القرآن في المجال العقدي

إن الذي يدرس المجال العقدي في العالم ستظهر له عقائد متباينة، فالخرافيون يؤمنون بغير برهان، ويصدقون بكل شيء، والماديون ينظرون كل ما وراء الحس، دون أن يضبطهم عقل ولا يلبون نداء الفطرة ولا تثير انتباههم معجزة، فيما يدعو القرآن الكريم الى الاعتقاد القائم على البرهان اليقيني والدليل العقلي المنضبط ويرفض ما عدا ذلك يقول سبحانه: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[1] وانطلاقا من هذا فاننا سندرس وسطية القرآن في التوحيد والملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر فيما يأتي:

أ. وسطية القرآن في التوحيد

دعا القرآن الكريم الى عقيدة عدل وسمو رفضت إنكار الإله ونزهته عن التعدد واثبتت للعالم الها واحدا قال سبحانه ﴿قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ*سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ*قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ*سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ*قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ*سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾[2]. فهي وسطية في صفاته سبحانه فلم تغال في تجريده جل وعلا من

---

(١) سورة البقرة – من الاية: ١١١.

(٢) سورة (المؤمنون) – الايات: ٨٣-٨٩.

الصفات كما فعلت الفلسفة اليونانية[1] ولم تجسم وتشبه كما وقعت في ذلك اليهودية والنصرانية فاليهود أمة غلب عليها طابع التفريط والتقصير، فهم اتخذوا الانداد لله عز وجل، فعبدوا الاصنام، واستقام بعد ذلك اتباع موسى عليه السلام ولكن بعد إنقاذهم من فرعون وجنوده وتجاوزهم البحر مع موسى عليه السلام مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم فمالت نفوسهم إلى الوثنية وطالبوا موسى عليه السلام أن يجعل لهم مثلها[2] يقول سبحانه: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[3] فبين لهم بطلان عمل أولئك وضلالتهم وأكد لهم أن الإله الحق هو الله عز وجل الذي أعطاهم قيمة وفضلا بين الناس[4] فقال تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ*قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[5].

أما موقف النصارى فقد شبهوا المخلوق بالخالق، فجعلوا المسيح عليه السلام هو الله؛ فكفرهم سبحانه بقوله ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ

---

(١) ينظر الايمان والحياة – د. يوسف القرضاوي: ٤٩.

(٢) ينظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٢/ ٢٤٢-٢٤٣ ووسطية القرآن في العقائد – علي محمد الحمداني: ٢٤-٢٥.

(٣) سورة الاعراف – الآية: ١٣٨.

(٤) ينظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٢/ ٢٤٣ ووسطية القرآن في العقائد – محمد عمي المصراتي: ٢٥.

(٥) سورة الاعراف – الايتان: ١٣٩-١٤٠.

مَرْيَمَ﴾[1]. وجعلوه ابنا لله عز وجل وقد بين هذا سبحانه بقوله ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[2]. لا بل جعلوه جزءاً من ثلاثة أجزاء يقول جل وعلا ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾[3].

أما موقف المسلمين فهو تنزيه الله ﷻ عن الند واتخاذ الولد والصاحبة تصديقا لقوله سبحانه عن نفسه: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[4].

كما نزهوه عن المماثلة بشيء امتثالا لقوله عز وجل: (ليس كمثله شيء وهو السميع العليم)[5].

هي وسط بين التسليم المطلق الذي يأخذ العقائد عن الاباء تقليدا ووراثة يقول سبحانه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾[6] وبين الذين يريدون أن يعرفوا كنه كل شيء عن خالقهم. بل هي عقيدة دعت الى

---

(١) سورة المائدة – من الاية: ١٧.

(٢) سورة التوبة – من الاية: ٣٠.

(٣) سورة المائدة – من الاية: ٧٣.

(٤) سورة (المؤمنون) – الاية: ٩١.

(٥) سورة الشورى – من الاية: ١١.

(٦) سورة الزخرف – من الاية: ٢٣.

التفكير للوصول إلى الحقيقة ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[1] هي عقيدة وسط في علاقتها بالعقائد الاخرى فلا تقبل الذوبان بل تدعو إلى الثبات والتمسك بها ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[2]. ولا تتعصب ضد غيرها من العقائد السماوية بل تعتقد أن الله رب الجميع ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾[3] وهي وسط بين الذين يتساهلون في قبول الظن في اثبات العقائد وبين الذين لا يقبلون الخواطر والهواجس[4] قال تعالى ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلا ظَنّاً إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾[5].

فهي عقيدة تسامحت في الخواطر بل عدتها دليل يقظة العقل وفطنة للطمأنينة قال سبحانه ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[6]. أنها هاجس يهجس ثم يزول بالاعتصام به سبحانه ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[7]. عقيدة وسط في

---

(١) سورة يونس – من الاية: ١٠١.

(٢) سورة الزخرف الاية: ٤٣.

(٣) سورة الشورى – من الاية: ١٥.

(٤) ينظر الايمان والحياة – د. يوسف القرضاوي: ٥٠–٥٢.

(٥) سورة يونس – من الاية: ٣٦.

(٦) سورة البقرة – من الاية: ٢٦٠.

(٧) سورة آل عمران – من الاية: ١٠١.

قضية الجبر والاختيار فالإنسان في دائرة أعماله الاختيارية حر مسؤول ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[1].

ب. وسطية القرآن في الملائكة

لقد وقع إنحراف كبير في الايمان بالملائكة منذ القديم فهناك من عبدهم، وهناك من ظن أنهم بنات الله، ومنهم من يرونهم أنهم أفلاك وآخرون انكروا وجودهم، ولكن جاءت الايات لتبين وسطية القرآن في هذا الركن من الايمان بما ينفع الناس ويدلهم على الصراط المستقيم. فالمسلم يعتقد بوجودهم وبما ورد في حقهم من صفات[2] يقول سبحانه: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[3] بل الايمان بهم ركن من أركان الايمان ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[4] وان الرسول ﷺ بين أن الايمان هو: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وتؤمن بالقدر خيره وشره"[5] وعليه فإن إنكار وجودهم يعد كفرا قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[6].

---

(١) سورة الكهف – من الاية: ٢٩.

(٢) ينظر وسطية القرآن القرآن في العقائد – لعبي محمد المصراتي: ٧٦.

(٣) سورة التحريم – من الاية: ٦.

(٤) سورة البقرة – الاية: ٢٨٥.

(٥) صحيح البخاري: ١/ ١٤٠.

(٦) سورة النساء – من الاية: ١٣٦.

جـ ـ وسطية القرآن في الكتب الإلهية

القرآن الكريم جاء مصدقا لما جاءت به الكتب الإلهية التي سبقته ومهيمنا ورقيبا عليها، لا بل تضمن خلاصة التشريعات الإلهية للبشر قال سبحانه ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[1] ولكن الذي يتتبع آيات القرآن الكريم سيجد أنه سجل جرم بني اسرائيل وخلطهم بين الحق والباطل فقال ﷻ: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ*وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ*وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾[2] ومن تحريفاتهم كتمان الحق ولا سيما الآيات التي يرون أن فيها ما يدحض ادعاءاتهم ومنها كتمان صفة الرسول ﷺ واختياره رسولا إلى الناس كافة يقول سبحانه ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[3] كما كشف القرآن الكريم إخفاؤهم الحق بقوله سبحانه: ﴿يَا أَهْلَ

---

(١) سورة المائدة – الآية: ٤٨.

(٢) سورة البقرة – الايتان: ٤٠–٤١ ومن الآية: ٤٢.

(٣) سورة البقرة – الآية: ١٤٦.

الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾[1] ومن أخفوه حكم الرجم[2] فقد جاءوا إلى النبي ﷺ برجل منهم وامرأة قد زنيا فقال لهم: كيف تفعلون بمن زنا منكم ؟ قالوا: نحممهما ونضربهما، فقال: لا تجدون في التوراة الرجم؟ فقالوا: لا نجد فيها شيئا، فقال لهم عبد الله بن سلام كذبتم، فاتوا بالتوراة إن كنتم صادقين، فوضع مدارسها الذي يدرسها منهم كفه على آية الرجم فطفق يقرأ ما دون يده وما وراءها ولا يقرأ آية الرجم فنزع يده عن آية الرجم فقال: ما هذه فلما رآوا ذلك قالوا: هي آية الرجم فامر بهما فرجما قريبا من حيث موضع الجنائز عن المسجد فرأيت صاحبها يجنأ عليها يقيها الحجارة)[3].

أما النصارى فقد حرفوا الإنجيل كذلك وأن مما يثبت ذلك أن الاناجيل كتب مؤلفة لاناس مجهولون ظهرت باوقات مختلفة والذي يطلع عليها سيجدها متناقضة مع نفسها ومع حقائق العالم الخارجي في كثير من الامور[4] وقد ذكر القرآن ما اقترفه النصارى وما أخلوه على حقيقة النبوة وتاليه جماعة منهم عيسى ابن مريم وقول بعضهم بالتثليث قال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾[5] وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ

---

(١) سورة المائدة – من الاية: ١٥.

(٢) ينظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٢/ ٣٤.

(٣) صحيح الإمام البخاري بشرح عمدة القاري: ١٨ ١٤٧.

(٤) ينظر وسطية القرآن في العقائد – لعلي محمد المصراتي: ٩٣.

(٥) سورة المائدة – من الاية: ٧٢.

وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾[1] فجاء القرآن كاشفا زيفهم وتحريفهم وبين العقيدة السليمة في عيسى وامه فقال عز وجل: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآياتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[2] وعليه فان الكتب الالهية التي سبقت القرآن الكريم قد اصابها التحريف فها هو القرآن الكريم محفوظ بحفظ الله سبحانه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[3] وما حفظه الله فلن تصل اليه يد العابثين فوسطيته تعني كما له وخيريته وحفظه

د. وسطية القرآن في أنبياء الله ورسله

إن بعثة الإنبياء والرسل من أعظم النعم على البشر. اختارهم سبحانه وتعالى من أوسطهم مكانة وإخلاقا ونسبا مبشرين ومنذرين قال سبحانه: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾[4] ولكن مواقف الأمم تجاه أنبيائهم ورسلهم قد تباينت بين متبع وكافر ومغال فيهم فعلى سبيل المثال لا الحصر. أن اليهود لهم مواقف مخزية تجاه أنبيائهم تدل على فساد سيرتهم وخبث طويتهم فقد آمنوا ببعض وكفروا ببعض قال سبحانه: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ

---

(١) سورة المائدة – من الاية: ٧٣.

(٢) سورة المائدة – لاية: ٧٥.

(٣) سورة الحجر – الاية: ٩.

(٤) سورة النساء – الاية: ١٦٥.

ذَلِكَ سَبِيلاً*أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً﴾[1]

كما أنهم قتلة أنبياء قال سبحانه: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ﴾[2]

أما النصارى فقد غالوا وافرطوا في نبي الله عيسى عليه السلام وعدوه هو الإله ولذلك كفرهم سبحانه بقوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾[3].

أما موقف المسلمين فقد جاء معتدلا حيث لا افراط ولا تفريط، ويظهر هذا من أن المسلمين يؤمنون بجميع الرسل دون تفرقه قال سبحانه: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[4] فالاية الكريمة تحتم على المسلم أن لا يفرق بين الرسل ومعنى ذلك أن الايمان بالرسل السابقين جزء من الاسلام[5] وان المسلمين لم يرفعوا الرسل الى مرتبة الالوهية أو النبوة للاله، ولم يكذبوهم ولم يناصبوهم العداء وإنما امنوا بهم وجعلوهم مثر يضرب وقدوة تحتذى فساروا على هداهم لأنهم هداة درب ورواد عقيدة لأن

---

(١) سورة النساء – من الاية: ١٥٠ والاية: ١٥١.

(٢) سورة المائدة – الاية: ٧٠.

(٣) سورة المائدة – من الاية: ٧٢.

(٤) سورة البقرة – الاية: ٢٨٥.

(٥) ينظر الاسلام – د. احمد شلبي: ١٠٩–١١٠.

الله سبحانه وتعالى افاض عليهم الكمال الانساني والبسهم ثوب الهيبة والوقار فكانوا موضع الثقة وقادة الخلق الى الحق[1].

هـ. وسطية القرآن في اليوم الاخر

إذا كان المشركون ينكرون المعاد بالكلية فلا يقرون بمعاد الارواح ولا الاجساد فان الكفار من يهود ونصارى ينكرون الاكل والشرب والنكاح في الجنة ويزعمون أنهم يتنعمون بالاصوات والارواح.

ولكنهم يقرون بحشر الاجساد والارواح أما غيرهم من صابئة وفلاسفة فيقرون بحشر الارواح فقط والنعيم عندهم للارواح فقط ومن المنافقين من يقول ان ما ذكره القرآن هي امثلة لنفهم معنى المعاد الروحاني كالباطنية[2] والفطرة السليمة تدل على اليوم الاخر وتهدي اليه فالمسلمون يؤمنون باليوم الاخر كما اخبر به القرآن ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ﴾[3] ومن وسطية القرآن اقناع الناس بالايمان باليوم الآخر حيث استدل على النشأة الاخرى بالنشأة الاولى فقال سبحانه: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا*أَوَلا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾[4] (فقد أقام الحجة وأزال الشبهة..فاحتج بالإبداء على الإعادة وبالنشأة الأولى على النشأة الأخرى. إذ كل عاقل يعلم ضروريا أن من قدر على هذه قدر على هذه وانه لو كان عاجزا

---

(١) ينظر العقائد الاسلامية – سيد سابق: ١٨٣.

(٢) ينظر وسطية القرآن في العقائد لعلي محمد المصراتي: ١١٨-١١٩.

(٣) سورة النساء – الاية: ٨٧.

(٤) سورة مريم – الاتيان: ٦٦-٦٧.

عن الثانية لكان عن الأولى أعجز وأعجز)[1] كما أن اليوم الآخر تستلزمه الحكمة الإلهية إذا لو كانت حياة الإنسان تنتهي في الدنيا لكانت حياته بلا غاية ولا معنى وناقصة تحتاج الى من يكملها[2]. كما أن الكون والإنسان مخلوقان ويسيران الى غاية ولكل منهما أجل ينتهيان عنده لأن أبديتهما مستحيلة[3] وبهذا المنطق والعدل يقرر القرآن وسطية وقوع اليوم الآخر.

المطلب الثاني: وسطية القرآن في المجال العبادي

إن الذي يتتبع الآيات القرآنية يستطيع أن يحدد أن الاسلام سلك الوسطية في المجال العبادي. فهو ليس كالنحل التي الغت الجانب الرباني من عباداتها واكتفت بالجانب الانساني كما فعلت البوذية، ولا كالاديان التي طلبت من معتنقيها التفرغ للعبادة كما فعلت المسيحية عندما دعت الى الرهبانية دونما أمر بل ابتداع ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾[4] بل كلف الاسلام اتباعه الى اداء شعائر يومية كالصلاة واسبوعية كصلاة الجمعة وسنوية كالصيام وفي العمر مرة كالحج، وهذا يجعل الانسان دائم الصلة بخالقه مع اعماله التي تديم حياته ويبتغي منها فضل الله[5] يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ

---

(١) مختصر شرح العقيدة الطحاوية: ٢٥٧.

(٢) ينظر الاسلام وحاجة الانسانية اليه – د. محمد يوسف: ١٥٧-١٥٩.

(٣) ينظر الاسلام يتحدى – وحيد الدين خان: ١١٨. س

(٤) سورة الحديد – من الاية: ٢٧.

(٥) ينظر خصائص العامة للاسلام – د. يوسف القرضاوي: ١٣٧.

وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1] وانطلاقا من هذا فان العبادات المفروضة على المكلفين سهلة الاداء لا كثيرة فتمل ولا قليلة لا يعبأ بها كما أن اداءها لا يتعارض مع السعي على الرزق فالمسلم يجمع العمل الدنيوي والاخروي ويظهر هذا واضحا في الايتين المتقدمتين حيث سعى وعمل قبل الصلاة، ثم التوجه الى الصلاة، ثم انتشار وعمل بعدها[2] (وهذا هو التوازن الذي يتسم به المنهج الاسلامي. التوازن بين مقتضيات الحياة في الارض، من عمل وكد ونشاط وكسب. وبين عزلة الروح فترة عن هذا الجو وانقطاع القلب وتجرده للذكر. وهي ضرورة لحياة القلب لا يصلح بدونها للاتصال والتلقي والنهوض بتكاليف الامانة الكبرى)[3].

والوسطية في اداء الصلاة والقراءة فيها مطلوب كما قال سبحانه: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً﴾[4] لا بل على المصلي إلا يسرع بصلاته وأن يطمئن في أدائها ولا يطيل ولاسيما إذا كان إماما لأن وراءه المريض وكبير السن وصاحب الحاجة وهذا واضح في توجيه رسول الله ﷺ لمعاذ ﷺ عندما اطال في صلاته فتشكا منه بعض المسلمين فقال له: "أفتان أنت -قالها ثلاث مرات- ثم قال: فلولا صليت بـ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ و﴿الشمس وضحاها﴾، و﴿والليل إذا يغشى﴾ فانه يصلي ورائك الكبير والضعيف وذو الحاجة"[5].

---

(١) سورة الجماعة – الايتان: ٩-١٠.

(٢) ينظر الوسطية في الاسلام – د. احمد عمر: ٢١.

(٣) في ظلال القرآن – لسيد قطب: ٨/ ١٠١.

(٤) سورة الاسراء – من الاية: ١١٠.

(٥) صحيح البخاري: ١/ ٢٤٩.

وكما نلاحظ الوسطية في الصلاة نلاحظها في الزكاة فلم تفرض في كل وقت يقول سبحانه: ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾[1] وفي هذه الحالة لابد من بلوغ النصاب. وفي النقدين لا بد من مرور حول، ويراعى في أدائها الجهد المبذول فإذا كان أكثر ما يدفع أقل. وإذا كان الجهد اقل كان ما يدفع أكثر، ففيما سقت السماء أو بدون آلة العشر. وما كان يسقى بآلة ففيه نصف العشر[2].

وإذا نظرنا الى الصيام وجدنا أن الشارع الحكيم يرخص بالفطر للمريض والمسافر[3] ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[4].

والحج إنما يجب مرة واحدة في العمر كله وهو على المستطيع[5] قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾[6].

وهكذا يتضح لنا أن العبادات لا مشقة فيها ولا حرج لأن الله لم يكلفنا فوق طاقتنا البشرية وإلا لانتفى التكليف قال سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾[7].

---

(١) سورة الانعام – من الاية: ١٤١.

(٢) ينظر تفسير القرآن العظيم – لابن كثير: ٢/ ١٨١.

(٣) روائع البيان تفسير آيات الاحكام من القرآن – محمد علي اصلابوني: ١/ ٥٧.

(٤) سورة البقرة – من الاية: ١٨٥.

(٥) روائع البيان تفسير آيات الاحاكم من القرآن – محمد علي الصابوني: ١/ ٣١٩.

(٦) سورة آل عمران – من الاية: ٩٧.

(٧) سورة البقرة – من الاية: ٢٨٦.

المطلب الثالث: وسطية القرآن في المجال الأخلاقي

لقد تباينت النظرة إلى الإنسان المخلوق المكلف فالبعض عدته روح علوي سجن في جسد ارضي، ولا يسمو إلا بتعذيبه وحرمانه من متطلبات ضرورية كما فعلت البرهمية، فيما ذهبت بعض المذاهب المادية الى أن الانسان جسد محض لا يسكنه روح علوي، أما النظرة الاسلامية فقد جاءت نظرة موحدة وشاملة فقد عده القرآن أنه كيان روحي ومادي يقول ﷻ: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ*فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[1] وعلى هذا فإن لروحه عليه حقا ولجسده عليه حقا[2]، ومع ذلك فان غلاة المثاليين ارتقوا بالإنسان إلى درجة عالية وشبهوه بالملاك فاحسنوا الظن بالفطرة وعدوها خيرا، وغلاة الواقعيين الذين عدوه حيوانا فأساءوا بها الظن فعدوها شرا، ولكن الإسلام نظر إلى الإنسان بأنه مخلوق مركب من عقل وشهوة وهو مهيأ بفطرته لسلوك السبيلين يقول سبحانه ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا*فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا*قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا*وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[3] وهذه النظرة القرآنية تجعلنا نعد الأخلاق الإسلامية وسطا بين طرفين، كل طرف يعد رذيلة، فعلى سبيل المثال لا الحصر الكرم وسط بين التبذير والبخل، والعزة وسط بين الكبر والذلة[4] لأن المنهج القرآني واقعي لذلك نراه يراعي الطاقة المتوسطة لاعترافه بالضعف البشري وتجلت واقعية الاخلاق في مقابلة السيئة بمثلها بلا

---

(١) سورة ص – الايتان: ٧١– ٧٢.

(٢) ينظر الخصائص العامة للاسلام– د. يوسف القرضاوي: ١٣٨–١٣٩.

(٣) سورة الشمس– الايات: ٧–١٠.

(٤) ينظر وسطية الاسلام – د. احمد عمر: ٢٧.

عدوان ولذلك أقر القرآن مرتبة العدل وهذا واضح في قوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[1].

وقوله سبحانه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾[2].

كما أن الواقعية أقرت التفاوت الفطري والعملي بين الناس لأنهم ليسوا بمستوى واحد. التزاما وايمانا وانتهاء وهذا يتجلى في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾[3].

فالظالم: المقصر.

والمقتصد: الذي يقتصر على فعل الواجبات. ويترك المحرمات وقد يترك بعض المندوبات ويفعل بعض المكروهات. أما السابق: هو الذي يزيد على فعل الواجبات كأداء السنن والمستحبات ويترك المحرمات والشبهات والمكروهات[4].

وعليه فإن القرآن قد رسم منهجا أخلاقيا رفيعا شمل جوانب الحياة الإنسانية جميعها روحية وجسمية وعقلية واقتصادية وسياسية وغيرها، والآيات القرآنية توضح ذلك بجلاء.

---

(١) سورة الشورى – الاية: ٤٠.

(٢) سورة النحل – الاية: ١٢٦.

(٣) سورة فاطر – الاية: ٣٢.

(٤) ينظر تفسير القرآن العظيم – لابن كثير: ٣/ ٥٥٤ ووسطية القرآن في العبادة والاخلاق والتشريع – علي محمد المصراتي: ٨٢.

فالنفس لها دوافعها ومشاعرها وأشواقها ولأجل أن لا تتمادى في ذلك عن الوسطية خاطبها سبحانه بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا*وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[1].

أما الجسم فله حاجاته وضرورياته التي تديمه لذلك جاء التوجيه القرآني بقوله جل وعلا: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾[2] أما العقل فله افاقه ومواهبه وتطلعاته ولأجل أن يحقق ذلك بوسطية دون افراط ولا تفريط فقد دعا القرآن الانسان الى النظر لأجل الاعتبار فقال سبحانه: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[3].

وفي الاقتصاد وجه القرآن الى الوسطية بجلاء فقال سبحانه ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً﴾[4].

وفي السياسة أمر الله سبحانه أن يكون العدل سائدا في القضاء بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾. وعلى ما تقدم فان وسطية القرآن في دائرة الاخلاق واضحة الدلالة ومطلوبة في هذه الحياة فرسولنا الكريم محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم قد

---

(١) سورة الشمس – الايتان: ٩–١٠.

(٢) سورة الاعراف – من الاية: ٣١.

(٣) سورة يونس – من الاية: ٣١.

(٤) سورة الاسراء – الاية: ١٠١.

جسد ذلك بما روته عائشةﷺ : "ما خير رسول اللهﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما فان كان أثما كان أبعد الناس عنه"[1]

المطلب الرابع: وسطية القرآن في المجال التشريعي والتكليفي

لو نظرنا الى الديانات التي سبقت الاسلام لوجدنا بعضها أسرفت في التحريم وأخرى أسرفت في التحليل فجاء الإسلام فلم يدع التحليل والتحريم بيد أحد من الخلق بل من حق الخالق.

فاليهودية أسرفت في التحريم زيادة على ما حرمه الله سبحانه وهذا واضح بقوله: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا*وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾[2].

أما المسيحية فقد أسرفت في الإباحة. فـ(بولس) أحدث أحداثا خطيرة فقد نقل المسيحية من التوحيد إلى التثليث ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾[3].

كما قال بألوهية المسيح وألغى ما نادى به عيسىعليه السلام كالختان وعدم أكل لحم الخنزير[4].

---

(١) سورة النساء – من الاية: ٥٨.

(٢) صحيح البخاري: ٣ ١٣٠٦ وصحيح مسلم: ٤ ١٨١٣.

(٣) سورة النساء – الاية: ١٦٠ ومن الاية: ١٦١

(٤) ينظر المسيحية – د. احمد شلبي ١٠٧

أما الاسلام فقد أحل وحرم، ولكنه لم يحرم إلا الخبيث الضار ولم يحل إلا الطيب النافع، ولهذا فمن أوصاف الرسول ﷺ عند أهل الكتاب أنه ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[1] فالإسلام وسط في شؤون الحياة كلها ومنها شؤون الاسرة فاذا أخذ بعضهم بتعدد الزوجات بلا قيد، وأنكره آخرون ولو أوجبته الضرورة، فالاسلام شرعه ووضع له شروط نجاحه سواء أكان في الانفاق والعدل أم غيرها، فان تخلف العدل على سبيل المثال لزم الاقتصار على واحدة[2] قال سبحانه ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾[3] وانطلاقا من هذا فان الوسطية في التشريع والتكليف واضحة في القرآن الكريم ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

أ. وسطية القرآن الكريم في الطلاق: اباحت الديانة اليهودية الطلاق لسبب من ثلاثة: الزنا والعقم وسوء الخلق.

أما المسيحية فان الطلاق محرم حتى في حالة الزنا ولاسيما إذا ندمت المرأة وتابت عن ذنبها وللزوج الحق الابتعاد عمن تصر على خطئها وليس له الحق في التزوج، ولا يخفى ما لهذه الاحكام من مساوئ تصطدم مع الفطر السلمية والعقول الحكيمة والابتعاد عن الانسانية التي جاءت الديانات لنشرها وحث الناس على التمسك بها[4].

---

(١) سورة الاعراف – من الاية: ١٥٧

(٢) ينظر خصائص العامة للاسلام – د. يوسف القرضاوي: ١٤٦-١٤٧.

(٣) سورة النساء – من الاية: ٣.

(٤) ينظر وسطية القرآن في العبادة والاخلاق والتشريع – علي محمد المصراتي: ١٥٩-١٦٠.

أما الاسلام فقد رتب خطوات لمعالجة ما يهدد انهيار الحياة الزوجية حيث دعا الى النصح والارشاد بالحكمة والموعظة الحسنة فان لم يثمر ذلك فعلى الزوج هجران زوجته فان لم يعط الهجران مفعوله فعليه ضربها ضربا غير مبرح تأديبا لها فان لم ينفع بها هذا واستمر الخلاف ففي هذه الحالة يصار الى التحكيم[1].

قال سبحانه: ﴿وَاللاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً*وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً﴾[2] مما تقدم يتبين لنا أن الاسلام يجيز الطلاق بعد اتخاذ كل الاجراءات المتقدمة حفاظا منه على هذه اللبنة من لبنات المجتمع فان طلق الزوج فتعد طلقة رجعية يمكن للزوج مراجعة زوجته دون مهر ولا عقد ولا شهود فان انتهت العدة ولم يراجعها اصبحت الطلقة بائنة بمعنى أن الزوج لا يستطيع أن يعود الى زوجته إلا بمهر وعدة جديدين أما إذا عاد الزوج الى زوجته بعد التطليقة الثانية وعاد الخلاف بينهما فعليه أن يسلك الخطوات السابقة قبل إيقاعه الطلاق فاذا لم ينفع ذلك جاز للزوج أن يطلق زوجته التطليقة الثالثة وتصبح بائنة بينونة كبرى ولا يجوز للزوج العودة الى زوجته ما لم

---

(١) ينظر روائع البيان تفسير آيات الاحكام من القرآن – محمد علي الصابوني: ١/ ٣٦٢–٣٦٣.

(٢) سورة النساء – من الاية: ٣٤ والاية: ٣٥.

تنكح زوجا غيره[1]. قال سبحانه: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾[2].

ب. وسطية القرآن الكريم في حل طعام أهل الكتاب ونكاح نسائهم:

تظهر الوسطية في تشريع حل طعام أهل الكتاب ونكاح نسائهم بصورة جلية إذا عرفنا الحكمة من ذلك قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾[3].

فالحكمة تتجلى في كون أهل الكتاب أقرب الى المسلمين من الكافرين ولذلك شرع الاسلام معاشرتهم لكي يتعرفوا على حقيقة الاسلام من خلال سلوك المسلمين معهم فيقتنعوا بمبادئه وهذا هدف عظيم من أهداف التشريع الحكيم فبهذا التلاقي يزيل الجفوة ويزيد من مشاركتهم الاجتماعية المخالطة وهذا يستدعي حل طعامهم وطعامنا ليتم التزاور وتأخذ الضيافة صيغتها بالمؤاكلة والمشاربة، وتتلاقح وجهات النظر فيقتربون اكثر وتزال الجفوة وسمى القرآن العفيفات من نسائهم محصنات وقرن ذكرهن بالحرائر العفيفات من المسلمات وهذه سماحة الإسلام التي لا توجد في غيره من الاديان لابل جعل للزواج منهن شروط النكاح الشرعي الذي

---

(١) ينظر روائع البيان تفسير آيات الاحكم من القرآن – للصابوني : ١/ ٢٤٦ ووسطية القرآن في العبادة والاخلاق والتشريع علي محمد المصراتي: ١٦٣-١٦٤.

(٢) سورة البقرة – من الاية : ٢٣٠.

(٣) سورة المائدة من الاية ٥.

يحصن به الرجل امراته ويصونها لا أن يكون المال طريقاً الى السفاح أو المخادنة، الذين كانا معروفين قبل الاسلام وبها التشريع العظيم رفع الاسلام قيمة المحصنات من أهل الكتاب الى قمة سامية من النيل والطهارة وبهذا تظهر وسطية القرآن من حكمة التشريع واعتداله وسلوكه الصراط المستقيم[1].

المطلب الخامس: وسطية القرآن الكريم في المجال المالي

لقد رسم القرآن منهجاً تجلت فيه الوسطية بكل معانيها فالذي يطلع على الأنظمة الاقتصادية يجد أن الماركسية ألغت الملكية الخاصة فمبدؤها من كل حسب طاقته لكل حسب حاجته، وهذا يعني المساواة في الأجر، والإنسان لا بد أن يسد حاجاته الضرورية من غذاء وكساء وسكن بدرجة متساوية وهذا لا يمكن أن يشكل ملكية خاصة لسد الحاجات[2]، وتصورها هذا انطلق من أنها تنكر وجود الخالق وتعد الحياة مادة والايمان بأن كل شيء عدا المادة ودوافعها ومحركاتها هواء[3]. أما الرأسمالية فقد أخذت بالملكية الخاصة ولكنها شوهتها بنسبة بعض الصفات لاضفاء مواصفات الى نظامها من جهة والاساءة الى الاسلام من جهة ثانية، على اعتباره يقر الملكية الخاصة ولكن آثارها بدت واضحة في ضعف الوازع الديني، وطغيان الوازع المادي، ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾[4] واستغراق الفرد في السعي على الرزق: "تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة

---

(١) ينظر وسطية القرآن في العبادة والاخلاق والتشريع- علي محمد المصراتي: ١٨٧ – ١٨٨.

(٢) ينظر حوار في الاقتصاد بين الاسلام والماركسية – د. عبد الله سلوم: ٥٨.

(٣) ينظر محاضرات ومناقشات الملتقى التاسع للفكر الاسلامي: ٩١٧-٩١٨.

(٤) سورة العلق – الايتان: ٦-٧.

والخميصة أن أعطى رضي وان لم يعط لم يرضى"[1] وفقدان الشعور بالاخرين[2].

أما القرآن فقد أقر الملكية العامة بقوله سبحانه: ﴿وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ﴾[3] كما أقر الملكية الخاصة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾[4] فالقرآن وجه المسلم أن يعمل قدر طاقته فقال عز وجل: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[5] ولما كان الإنسان يحصل على قدر طاقته وبمقدار جهده فان الاجر سيكون متقاربا. والتفاوت في القدرة وفي الجهد يؤدي إلى التفاوت في الحصول على الثروة قال جل وعلا: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾[6] وهذا أساسه الملكية الخاصة فانها مقيدة بقيود وتأتي نتيجة عمل، إذ لا يجوز فيها امتلاك الأموال التي ترصد للمنافع العامة فقد حرم القرآن الاكتناز[7]. وعليه فان وسطية النظام الاقتصادي القرآني واضحة لأنه يأخذ بالمصلحتين الخاصة والعامة معا بقيود لا يؤثر أحدا على الآخر، فسمح بامتلاك الثروات ولكنه حال دون أن تتحول الملكية الخاصة إلى استعلاء طبقي ولا رأسمالية جائرة فسلك طريقا تحفه العدالة والرحمة حيث يمتلك بحلال وينمي بحلال وينفق

---

(١) رياض الصالحين – النووي: ٩٢.

(٢) الاتجاهات الفكرية المعاصرة – د. علي حريشة: ١٥٨.

(٣) سورة الرحمن – الاية: ١٠.

(٤) سورة الانبياء – من الاية: ١٠٥.

(٥) سورة البقرة – من الاية: ٢٨٦.

(٦) سورة النحل – من الاية: ٧١.

(٧) ينظر حوار في الاقتصاد بين الاسلام والماركسية والرأسمالية – د. عبد الله سلوم: ٥٢–٥٦.

بحلال وهذا ما يكون سببا لبناء مجتمع فاضل، لذلك وجه القرآن المسلم أن يتصرف في المال من غير اسراف أو تقتير فقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾[1] فالتصرف المعتدل يعد سمة الشخصية المعتدلة التي تتحاشى الإفراط والتفريط، فالآية وصفتهم بأنهم غير مبذرين في إنفاقهم لا بل لا يصرفون فوق حاجتهم ولا بخلاء على ذويهم بل يتصرفون بالعدل والخيار[2].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً﴾[3] فالآية تأمر بالاقتصاد في العيش إذ ذمت البخل ونهت عن الإسراف أي لا تكن بخيلا لا تعطي شيئا، ولا مسرفا فتعطي فوق طاقتك[4] ومما تقدم يتبين لنا أن القرآن لا يمنع من التمتع بالاموال ولكنه يضع لها الضوابط ما يصون المسلم من:

أ. الاسراف.

ب. التكبر واستعلاء.

فالضابط الأول ينظم حاجة المسلم حتى يحافظ على أمواله وصحته، والثاني ينظم طريقة استخدام الرزق فلا ينحرف الانسان بتصرفاته المالية الى الضرر والمفاخرة، ولا يخفى من امتلاء المعدة والإسراف في تناول الطعام والشراب يجلب

---

(١) سورة الفرقان – الاية: ٦٧.

(٢) ينظر تفسير القرآن العظيم – لابن كثير: ٣/ ٣٢٥.

(٣) سورة الاسراء – الاية: ٢٩.

(٤) ينظر تفسير القرآن العظيم – لابن كثير: ٣/ ٣٧.